

برنامج أنوار كاشفة سلسلة رمز وحقيقة الحلقة الثامنة عشرة

الحية النحاسية وما ترمز إليه

صديقي المستمع ، إنتهينا في اللقاء الماضي بالتأمل في سفر الخروج ، الذي هو ثاني أسفار الكتاب المقدس . حيث اكتشفنا المزيد من المعاني والرموز التي أشارت إلى خطة الله الأزلية لإنقاذ الإنسان ، والمخلص المسيح . وكنا قد تحدثنا في الحلقة السابقة عن خيمة الإجتماع وأجزائها ، والتي كانت مكان العبادة للعبرانيين قديما . وتأملنا بعملية التكفير عن الخطية ، التي كان يقوم بها رئيس الكهنة عندما يدخل إلى قدس الأقداس . وتبين لنا أن عملية التكفير هذه ، كانت ترمز وتشير إلى المخلص المسيح ، وعمله الكفاري على الصليب . وأن المخلص المسيح قد صعد إلى قدس الأقداس الحقيقي في السماء ، معلنا بذلك إكمال عمل الفداء .

أما اليوم فسنأمل بحادثة سجلها لنا الوحي في سفر العدد ، الذي هو من أسفار العهد القديم من الكتاب المقدس . فبينما كان العبرانيون يتابعون ارتحالهم في صحراء سيناء قديما تدمروا على الله وعلى نبيه موسى قائلين : " لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت في البرية لأنه لاخبز ولا ماء وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف . " (عدد ٢١:٥) والمقصود بالطعام السخيف هنا المن ، أي الخبز الذي كان ينزله الله من السماء ، كما عرفنا سابقا .

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يتدمر فيها الشعب كما لاحظنا . لهذا كان رد فعل الله هذه المرة عنيفا . إذ أرسل الحيات المحرقة التي لدغت الشعب ، فمات قوم كثيرون منهم . فأتى الشعب إلى موسى وقالوا : " قد أخطأنا إذ تكلمنا على الرب وعليك ، فصل إلى الرب ليرفع عنا الحيات . فصلى موسى لأجل الشعب . " (عدد ٢١:٧) . وعندها أجاب الله موسى لكنه طلب منه أمرا غريبا وعجيبا . " فقال الرب لموسى اصنع لك حية محرقة وضعها على راية ، فكل من لدغ ونظر إليها يحيا . فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية . فكان متى لدغت حية إنسانا ونظر إلى حية النحاس يحيا . " (أعداد ٩و٨)

حقا إنها حادثة غريبة تكشف لنا عن دينونة الله التي تقع على الإنسان المتمرد . لكنها بنفس الوقت تشير إلى رحمة الله ومحبه ، وسعيه نحو إنقاذ الإنسان العاصي ، وبطريقة فريدة من نوعها وملفتة للنظر . فعلا صنع موسى حية نحاسية ورفعها على الراية ، وهكذا نظر الكثيرون من الذين لدغوا بالحيات ، الى الحية النحاسية المرفوعة ونجوا . بينما الذي لم يصدق ولم ينظر مات وهلك . وكما لاحظنا سابقا مستمعي فإن حوادث العهد القديم ، لا بد أن تشير وترمز إلى حقائق روحية هامة ، أعلنت في العهد الجديد . فإلى ماذا تشير وترمز هذه الحادثة يا ترى ؟

تشير الحيات المحرقة التي لدغت الشعب قديما إلى الخطيئة ، التي لم تترك إنسانا إلا وكيبلته بقيودها ، وأسقطته صريعا من تأثير سمومها . ومن المعروف أن الجنس البشري بأكمله قد ورث الخطيئة عن آدم الذي عصا الله . ونعلم أنه نتيجة للعصيان لعنت الأرض ، وعرف الإنسان الموت الروحي ، أي حالة الانفصال عن الله خالقه . وصار الموت الجسدي هو مصير كل إنسان ، واستحق الإنسان بالتالي دينونة الله وعقابه . لا يستطيع أحد أن يجادل أو ينكر مدى تأثير الخطيئة على حياته . فكم من مرة حاولت صديقي المستمع الابتعاد عن طريق الإثم والسير في طريق الخير ، فلم تحصد إلا الخيبة والمرارة والفشل . لا بل وجدت نفسك تعود ثانية إلى السلوك في طريق الإثم كالسابق ، وكأن طبيعتك المكبلة بالإثم تأتي عليك إلا أن تسير في هذا الدرب الوعر .

تقدم لنا إذن هذه الحادثة التي نتأمل بها اليوم، صورة رمزية ومبسطة عن حالة الإنسان في كل زمان ومكان. أي صورة الإنسان الملسوع المعذب من الخطيئة، والمُدرِك لنتائجها المميّنة، والذي يسعى للخلاص منها. وكما تدخل الله قديماً لإنقاذ الشعب الذي لدغته الحيات من الموت، هكذا بادر وفي خطة أزلية لإنقاذ الإنسان من سمّ الخطيئة المميّنة ونتائجها المؤلمة. لابل كانت طريقة إنقاذه شبيهة تماماً بتلك الوسيلة التي نجا بها الشعب قديماً، أي بواسطة الحيّة النحاسية المرفوعة. فما هو سرّ الحيّة النحاسية؟ وإلى ماذا ترمز؟

أجل أعزائي ما هو سرّ الحيّة النحاسية؟ وإلى ماذا ترمز؟ لقد كشف لنا المخلص المسيح نفسه عن الرمز الحقيقي للحيّة النحاسية المرفوعة، وما تشير إليه. وذلك أثناء حديثه مع أحد علماء الدين اليهود في أيامه وهو نيقوديموس إذ قال له: **" وكما رفع موسى الحيّة في البرية هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. "** (يوحنا ٣: ١٧) ترمز الحيّة النحاسية المرفوعة إذن، إلى المخلص المسيح وموته الكفاري من أجلنا على خشبة الصليب. إن الحيّة النحاسية ليست شيئاً في حد ذاتها، ولا كذلك الخشبة المرفوعة عليها، إذ المهم هو ما تشير إليه. إن المخلص المسيح هو كلمة الله الأزلي الذي تنازل إلينا من السماء. فأخذ صورة عبد، وصار في شبه الناس كابن للإنسان، أي صار بشراً مثلنا لهدف إنقاذنا. وهو عندما رُفِع على الصليب حمل ذنوبنا، أي صار خطية لأجلنا، وهو الذي لم يعرف خطية ولا وجد في فمه مكر. لابل أصبح لعنة من أجلنا، وأخذ عقاب خطايانا عوضاً عنا، لكي ننجو من سم الخطيئة القاتل. وكما نجا الشعب قديماً من لدغ الحيات، عن طريق النظر إلى الحيّة النحاسية، لأن كل من كان ينظر إليها يحيا. هكذا اليوم كل من ينظر بالإيمان إلى المخلص المسيح الذي عُلق على خشبة الصليب يخلص.

نعم صديقي المستمع، إن كل من ينظر اليوم بالإيمان، أي يؤمن إيماناً قلبياً صادقاً بالمخلص المسيح وعمله الكفاري من أجله، يتحرر من سم الخطيئة القاتل، وينجو من الهلاك الأبدي. وهو ما أكدته المسيح في الآية التي اقتبسناها قبل قليل، عندما قال: **" هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. "** أي ينبغي أن يُرفع المسيح على الصليب، لكي ينجو كل من يؤمن به وينال الحياة الأبدية. فما أعظمها من عطية يقدمها لنا الله مجاناً، لكي نتحرر من عبودية الخطية، وننجو من عقابها، ونحصل على الخلود.

ولنلاحظ مستمعي أن المخلص المسيح عندما أشار إلى حادثة رفع موسى الحيّة في البرية، كان في معرض حديثه عن الولادة الروحية الجديدة. وكيف يجب أن يحصل عليها كل إنسان لكي يخلص. وكأنه أراد القول أنه كما نجا من الموت المحقق، أولئك الذين لدغوا من الحيات السامة، هكذا سينجو كل من يؤمن بالمسيح المرفوع على الصليب من الهلاك الأكيد. وأنه كما عرف أولئك الحياة من جديد، بمجرد النظر إلى الحيّة النحاسية المرفوعة، هكذا سيختبر الولادة الروحية الجديدة، كل من يؤمن بالمخلص المسيح وعمله الكفاري على الصليب.

أجل صديقي، هذه هي خطة الله الأزلية لإنقاذ الإنسان عن طريق رفع المسيح على الصليب، وموته الكفاري من أجل ذنوبنا، ومن ثم قيامته الظاهرة من بين الأموات. حقا، لقد تجلت محبة الله العظمى لنا نحن البشر الخطاة الأثمة. بأن أرسل كلمته الأزلي المخلص المسيح، لكي يموت عوضاً عنا فداءً لنا، وليهبنا الحياة الروحية والخلود.

فهل تود صديقي أن تنجو من سم الخطيئة المميّنة؟ وهل ترغب في الحصول على غفران الله لذنوبك؟ وأن تتيقن من نوالك للحياة الأبدية؟ لما لا تنظر الآن بإيمان صادق إلى المسيح الذي رُفِع على خشبة الصليب. وهكذا تنجو من الهلاك، وتنال غفران الله والحياة الروحية الجديدة وهبة الخلود في دار النعيم. فهل تنتظر وتؤمن؟